د: عمر بوضربة قسم التاريخ جامعة المسيلة

سعد دحلب

السياسي المحنّك والدبلوماسي الثائر

يعتبر سعد دحلب وجها بارزا من وجوه الحركة الوطنية الاستقلالية حيث ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري (PPA) ثم في الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)،ويعتبر من أبرز المركزيين الذين عارضوا مصالي الحاج،وبعد انضمامه إلى الثورة التحريرية سنة 1955 وجه للعمل السياسي ثم الدبلوماسي في الهياكل القيادية لجبهة التحرير الوطني،وتمكن بفضل ثقافته الرفيعة ومستواه التعليمي الراقي وتكوينه السياسي والنضالي العالي أن يسهم في تأطير العمل الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني؛ وذلك من خلال المهام الدبلوماسية التي أدّاها مثل الزيارات والبعثات التي قادها إلى العديد من الدول العربية والآسيوية والإفريقية ،ثم من خلال تقلّده لمنصب وزير خارجية في ثالث حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية المؤقتة 1961-1962 ودوره الكبير في إعداد وإدارة ملف المفاوضات مع الحكومة الفرنسية.

1-المولد والنشأة:

ولد المناضل سعد دحلب سنة 1919 بقصر الشلاّلة ولاية تيارت حاليا،بدأ مشواره الدراسي بمسقط رأسه ثم انتقل إلى معهد البليدة (الذي تحول اليوم إلى ثانوية ابن رشد)؛حيث تعرّف هناك على محمد الأمين الدباغين وبن يوسف بن خدة وعبّان رمضان؛فكانوا يطالعون صحيفة"الأمة"لسان حال "نجم شمال إفريقيا"،كما ربطوا صلات بمناضلي فرع النجم بالبليدة ثم بمناضلي "حزب الشعب الجزائري"(PPA) ؛وهكذا بدأ سعد دحلب مساره النضالي الوطني.[1]

[1] شهادة بن يوسف بن خدّة في كتاب:محمد عباس: رواد الوطنية-شهادات 28 شخصية وطنية،دار هومة،الجزائر،2004،ص ص98-99.

وذكر سعد دحلب بأنه يمكن القول أنه ولد وطنيا،فقد كان والده في قصر الشلالة واحدا من الذين لهم حساسية مفرطة تجاه اضطهاد السلطات المحلية الاستعمارية وممثليها للجزائريين،وهو ما جعله يخاصم "الشنبيط"تارة و"المير"و"القايد"تارة أخرى.

وحول مساره الدراسي والنضالي ذكر سعد دحلب بأنه انتقل في السنة الدراسية 1934-1935 إلى المدية لمواصلة تعليمه الإكمالي وعمره لم يتجاوز الـ15 سنة وهناك كان له أول إطلاع له بجريدتي"الأمة"لسان حال نجم شمال إفريقيا و"الأمة العربية" التي كان يصدرها شكيب أرسلان،وذكر دحلب بأنه في المدية كون أول خلية سرية للنضال على "طريقتنا" بدون مسؤول أو مرشد.

وفي هذه الفترة كان يؤم المساجد ويكتب رفقة زميلين له على الجدران عبارات وشعارات معادية للاستعمار الفرنسي"يسقط الاستعمار"و"يا شعوب الإسلام انهضي" وهي شعارات جريدة الأمة.وبعد سنتين من الدراسة في المدية أحس الفتى سعدا بأن المدية بدأت تضيق به فقرر ترك تكميليتها التي كانت الدراسة بها مجانية لينتقل للدراسة في معهد البليدة الذي لم يكن كذلك،وهناك التقى كذلك بشباب شاطروه نفس الأفكار الوطنية وكان على رأس هؤلاء :محمد الأمين الدباغين.

وبعد أشهر قلائل طرد الطالب دحلب بعد أن ضبط لديه المراقب نسخة من جريدة "الأمة" ولم يعد إلى الصف إلى بشق الأنفس بعد تدخلات من هنا وهناك ومن والده أيضا.وفي السنة الدراسية الأولى له بثانوية البليدة 1937 خطا دحلب خطوة أخرى في إرتباطه بجريدة الأمة فقد كتب مقال فيها بعنوان"أنتم خناجر"وهو ماعلق عليه نفسه بأنه أول عمل سياسي يقوم به"،وفكرة المقال استوحاها الطالب دحلب من واقعة ملخصها تناقل الصحف الفرنسية خبرا مفاده أن النائب الدكتور بن جلول شتم أحد الأعوان الإداريين بقوله:"أنت أرذل الفرنسيين"،وهو ما أثاره أستاذ الفيزياء في قاعة الدرس بحيث وصف التلاميذ الجزائريين بأنهم خناجر نحن الآن بصدد سنها لتطعن فرنسا في الظهر بحدة فها هو

بن جلول يقول ما يقول ونحن الذين أدخلناه الجامعة ولم يحصل على البكالوريا،فاستغل الطالب دحلب هذه القصة واستوحى منها فكرة مقاله.

أما العمل السياسي الوطني الثاني الذي قام به دحلب فكان خلال امتحانات شهادة البكالوريا الجزء الثاني وفي مادة الفلسفة التي طرح فيه موضوع "الاستعمار من الناحية الأخلاقية"،فاستغل دحلب الفرصة ليدين الظاهرة الاستعمارية جملة وتفصيلا مستعينا في ذلك بأفكار الفيلسوف فيليسيان شالي الذي يتميز بأفكاره المستنيرة،فكان جزاء الطالب الوطني ثلاثة من من عشرة ورسب في امتحان البكالوريا وعلق على ذلك دحلب قائلا:"إن بيني وبين الاستعمار مسألة شخصية"[1].

تحصل على الجزء الأول من شهادة البكالوريا وسقط في الجزء الثاني في العام الدراسي 39- 1940،ليعود إلى قصر الشلالة-مسقط رأسه- ويبدأ نضاله السياسي الوطني - بشكل رسمي- في حزب الشعب الذي انضم إليه في قصر الشلالة سنة 1944 بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ،ليصبح كاتبا خاصّا لمصالي الحاج الذي كان يمضي فترة نفيه بقصر الشلالة،وقد ساعده في التقرب من مصالي وعرض خدماته عليه زميله السابق في معهد البليدة المحامي علي بومنجل الذي تكفل بمهمة الدفاع عن "الزعيم".

سجن في الفترة ما بين أفريل 1945 وأوت 1946 بسبب نضاله الوطني ،ثم انتخب عضوا في اللجنة المركزية لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية على إثر مؤتمرها المنعقد في أفريل 1953 ،وبعد اندلاع الثورة اعتقل رفقة الإطارات المركزية وجيئ به إلى "فيلا سوزيني" بالجزائر العاصمة وقد عذب عذابا شديدا؛والتقى هنالك بزملائه "المركزيين" وبرابح بيطاط القيادي في جبهة التحرير الوطني،ليحولوا بعدها إلى سجن بربروس حيث التقوا بإطارات حركة الانتصار

[1] ينظر :محمد عباس:المصدر نفسه ،ص ص:174-176.

للحريات الديمقراطية ولم يطلق سراحهم إلا بعد صدور العفو عنهم في ربيع 1955.[1]

التحق بالجبهة في صائفة 1955 وتقلّد عدة مناصب قيادية في صفوف أجهزة الثورة منها عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ في مؤتمر الصومام أوت 1956 وكلف بالإعلام والتوجيه،ثم تقلد عديد المناصب في الحكومة المؤقتة منها مدير ديوان وزارة الإعلام التي أشرف عليها محمد يزيد1958-1959،ثم عين أمينا عاما لوزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة الثانية،ثم وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة الثالثة ،وهو ما رشحه للعب دور هام في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية التي توجت بتوقيع اتفاقيات إيفيان في 1962/03/18.

ورغم شغله لمنصب سفير الجزائر لدى المغرب الأقصى بعد الاستقلال إلا أنه فضل الانسحاب للتفرغ لشؤونه الخاصة،خاصة إدارة دار النشر الخاصة به"دحلب-Edition Dahlab"،وتوفي في 2000/12/16 ودفن بمقبرة سيدي يحي بالعاصمة.[2]

-2-انضمام سعد دحلب إلى جبهة التحرير الوطني:

شكّل استيعاب جبهة التحرير الوطني لإطارات المركزيين و الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري و جمعية العلماء إضافة إلى الطلبة إحدى أهم نقاط قوتها في نشاطها الخارجي الدبلوماسي و الدعائي و الإعلامي ، فقد لعب هؤلاء دورا رئيسا في تأطير هذا النشاط وأعطى جبهة التحرير في الخارج مصداقية ومظهرا متفتحا لحركة تحررية وطنية استقلالية، ويعتبر هذا قمّة الذكاء التنظيمي من لدن قادة ج.ت.و في الداخل والخارج ؛ الذين أحسنوا توظيف هذه الكفاءات.

والملاحظ أنّ قيادة الوفد الخارجي التي تشكّلت نواتها الرئيسة من قدامى مناضلي ح.إ.ح.د قد استطاعت توظيف و توجيه طاقات وكفاءات بقية الأحزاب التي

[1] نفسه،ص 185.

[2] محمد عباس:المصدر نفسه،ص ص: 173و 177.

التحقت بالوفد، فقد استفادت ج.ت.و من خلال انضمام إطارات حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري،خاصة فرحات عبّاس و أحمد فرنسيس وأحمد بومنجل وتوظيف علاقاتهم بالصحافة الفرنسية و الغربية وصورتهم الإيجابية في العالم الغربي الليبرالي أوربا والولايات المتحدة الأمريكية،لذا فقد كلّف فرحات عبّاس وأحمد فرنسيس بمهمّات في أوربا و الولايات.م.أ، وتمّ الاستنجاد بأحمد بومنجل في تنظيم مصلحة الإعلام رفقة أحمد توفيق المدني عن العلماء،مثلما وظّفت وجوها بارزة في جمعية العلماء و على رأسهم أ.ت.المدني و عباس بن الشيخ الحسين وخير الدين ومحمد البشير الإبراهيمي- قبل أن يُستغنى عنه لاحقا-كواجهة أو وسيلة تقارب مع المشرق العربي و الدول الاسلامية بشكل عام،لما تميّز به هؤلاء من ثقافة عربية إسلامية و علاقات وطيدة بهذه المناطق.[1]

استطاعت ج.ت.و أن تُشكّل جهازا دبلوماسيا حقيقيا باعتراف السلطات الفرنسية ذاتها،و تمثّل ذلك في"مبعوثيها الذين يتنقّلون بدون انقطاع في كل بقاع الأرض،مُضاعفين من تدخلاتهم لدى الحكومات الأجنبية و المنظمات الدولية،و تصريحاتهم العلانية و ندواتهم الصحفية و حواراتهم ..فقد أصبحت ج.ت.و تملك شبكة من الممثّلين الدائمين المقيمين في بلدان أوربية عديدة و في الشرق الأوسط و الشرق الأقصى و أمريكا الشمالية و الجنوبية و كذلك لدى هيئة الأمم المتحدة.."[2]،ويعد سعد دحلب من هؤلاء الإطارات الذين ساهموا في التأسيس للعمل الدبلوماسي وكذا الإعلامي للثورة الجزائرية.

---

[1] أدرك المسؤولون الفرنسيون خطورة هذا الأمر بعد فوات الأوان ،عُد إلى تقرير إيف شاتينيو المستشار الدبلوماسي للحكومة الفرنسية في: C.A.D:MAEF, Documents Diplomatiques Français 1958 T II(1er juillet-31Décembre)"Note du conseiller diplomatique du gouvernement(yves Chataigneau) comité de coordination et d'exécution du F.L.N",Imprémerie Nationale,Paris,1993,pp:41-43.

[2] CAD:MAEF,SEAA,boite:7,dos:FLN,doc:Extrait du dossier présenté à l'ONU,Session1956,pp:9,10.

Op.cit,Session 1957, p64. Ibid,p64.

انضم سعد دحلب إلى ج.ت.و في فيفري 1956حيث كلّفه عبّان رمضان بمهمة التنسيق بين المنطقتين الأولى والثانية،وذلك في إطار التحضير لعقد الاجتماع الوطني لقيادة الثورة والذي تأخر عقده(جانفي1955).

وتم تعيين سعد دحلب في لجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن مؤتمر الصومام 1956/08/20 وذلك باقتراح من صديقهما ورفيق الدراسة عبان رمضان،وهو التعيين الذي لقي رفض القادة العسكريين وبعض أعضاء الوفد الخارجي للجبهة وفي مقدمتهم أحمد بن بلة،إذ لم يتقبلوا فكرة إشراف هاذين المركزيين(دحلب وبن خدة)على مفجري الثورة ذاتهم،ويذكر خالفة معمري بأن تعيين دحلب في لجنة التنسيق والتنفيذ جاء بعد رفض زيغود يوسف عضوية ذات اللجنة،حيث فضل زيغود البقاء على رأس منطقته،حينها اقترح عبان اسمي بن خدة ودحلب وهو ما وافق عليه العربي بن مهيدي وكريم بلقاسم وزيغود كذلك.[1]

لم يدم مكوث دحلب طويلا في لجنة التنسيق والتنفيذ حيث وبضغط من كريم بلقاسم وبوصوف تم تعديل تركيبة اللجنة وأزيح دحلب وبن خدة باعتبارهما مقربين من عبان ،تم ذلك في مؤتمر المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في القاهرة في أوت 1957 ؛إضافة إلى إلغاء العمل بقاعدة أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج،ورغم أن إبعاد هاذين المركزيين من لجنة التنسيق والتنفيذ بتهمة الإصلاحية لكن تم تعويضهما بفرحات عباس وعبد الحميد مهري والأمين دباغين؟؟؟

ورغم ذلك تقبل كل من دحلب وبن خدة قرار المجلس الوطني للثورة الجزائرية وانصاعوا للأوامر ووضعوا أنفسهم تحت تصرف لجنة التنسيق والتنفيذ بتشكيلتها الجديدة،ولم يبديا معارضة ولم يطلبا استفسارات،وحده عبّان رفض القرار لكنهما– بن خدة ودحلب– لم يقدّما له الدعم حفاظا منهما على وحدة القيادة في هذا

[1] خالفة معمري:عبان رمضان،تعريب زينب زخروف،ط2،منشورات ثالة،الجزائر،2008،ص359.

الظرف الحساس من عمر الثورة وخوفا من أن يستغل الفرنسيون هذه الثغرة لإحداث أزمة داخل الجبهة.

وبعد تعديل لجنة التنسيق والتنفيذ الأولى وجد دحلب نفسه نائبا لفرحات عباس فأقبل على مهامه الجديدة بكل حماس وقال قولته:"إنما انضممت للجبهة للنضال لا للجري وراء المسؤوليات".[1]

-3- دور سعد دحلب في المفاوضات مع الحكومة الفرنسية:

وعلى إثر الإعلان عن تشكيل أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في 1958/09/19 عين دحلب مساعدا لمحمد يزيد وزير الإعلام الجديد حيث شغل منصب مدير مكتبه،ثم شغل بعد ذلك منصب أمين عام وزارة الشؤون الخارجية التي أشرف عليها بلقاسم كريم،وبهذه الصفة شارك دحلب في معظم مراحل المفاوضات بين ح.م.ج.ج ومبعوثي الحكومة الفرنسية ،فمثلما أظهر مقدرة وحكمة كبيرين في ميدان الإعلام أظهر في الميدان الدبلوماسي مواهب وقدرات عالية [2]،حيث شارك في عدة محطات تفاوضية منها لوغران إلى جانب بلقاسم كريم نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية وبرفقة طيب بولحروف وأحمد فرنسيس،وشكل ملف فصل الصحراء سبب التعثر في هذه المفاوضات لذلك طلب دحلب من كريم دعوة لوي جوكس إلى جلسة خاصة على أن يكون هو إلى جانبه في اللقاء الذي كان ثلاثيا والذي لم يدم أكثر من 10 دقائق فهم منه دحلب بأن باريس لم تستوعب بعد فكرة استقلال الجزائر بشكل تام،وهكذا اتفق الطرفان على تعليق المفاوضات إلى أجل غير مسمى.[3]

وسجل دحلب عودته القوية إلى المشهد بتعيينه وزيرا للعلاقات الخارجية في ثالث حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في أوت 1961 بينما ترأس رفيق دربه بن

[1] محمد عباس: المصدر السابق،ص 168.
[2] عبد الله مقلاتي:قاموس أعلام وأبطال الثورة الجزائرية،دار النشر Bloutou ،الجزائر،2009، ص265.
[3] محمد عباس:المصدر السابق، ص ص: 188-189.

خدة ذات الحكومة ،هذا المنصب الجديد أهل سعدا للعب دور رئيس في مفاوضات إيفيان الثانية التي ستتوّج باتفاق إطلاق النار يوم 1962/03/18 وتحقق بموجبها للشعب الجزائري الاعتراف الفرنسي بحقه في تقرير المصير.[1]

وذكر بن يوسف بن خدة بأنه في إحدى اللقاءات التفاوضية مع الوفد الفرنسي قال جورج بومبيدو مسؤول الوفد مخاطبا وفد الحكومة المؤقتة مبتسما:"الصحراء ليست لكم،هل تريدون أن تمنحها لكم فرنسا كهدية؟لقد صرفنا

من أجل استثمارها أموالا طائلة"؛وذكر بومبيدو مبالغ هذه المصاريف التي قدّرها من 600 إلى 700 مليار فرنك فرنسي ،فكان جواب الوفد الجزائري الرفض القاطع لمسألة فصل الصحراء وذلك طبقا للتعليمات الصارمة التي تلقاها الوفد الجزائري من الحكومة المؤقتة .

وواصل بن خدة قائلا بأنه في أحد اللقاءات التي بلغت فيها الجدية ذروتها وتصلّبت آراء الوفدين إلى أقصى درجة،إذ تمسّك الوفد الفرنسي بمبدإ فصل الصحراء ؛حيث اعتبرها أرضا غير جزائرية بالإستناد إلى القانون الفرنسي طبعا،وفي هذا الجو المتشنج والمكهرب استأذن سعد دحلب من رئيس الوفد الجزائري بلقاسم كريم وقال:" تقولون إن الصحراء فرنسية،فعلى أي أساس بنيتم حكمكم هذا؟وعلى أي قانون استندتم؟فإذا كان هذا القانون هو القانون الفرنسي فعلا فأنتم تعلمون جيدا أننا لا نعترف بهذا القاونو فأنتم أنفسكم تقولون عنا أنتم الخارجون عن القانون،ولهذا السبب بالذات رفعنا السلاح ضد هذا القانون بالذات نفسه،فإذا كنتم جادين حقيقة لإنجاح هذه المفاوضات وراغبين في السلم ،أتركوا جانبا هذا القانون ولنعكف معا من أجل إعادة السلم إلى الجزائر."

[1] محمد عباس :المصدر نفسه، ص ص 189-190.

فابتسم الجميع على تدخل سعد دحلب الذي بدد بخفته وروحه المرحة غيوم التشنج وفهم الوفد الفرنسي في النهاية بأن مسألة الصحراء لا نقاش ولا مساومة فيها بالنسبة لجبهة التحرير الوطني.[1]

بعد الاستقلال عين سعد دحلب سفيرا للجزائر في المغرب الأقصى،ثم فضل الابتعاد عن الحياة السياسية والتفرغ لأعماله الخاصة،ليتوفّى في ديسمبر 2000،ولم يترك لنا سوى كتابا واحدا ضمّنه مسيرته النضالية في الحركة الوطنية وإسهامه في ثورة نوفمبر 1954 الكتاب الذي حمل عنوان""المهمّة منجزة".[2]

[1] شهادة لبن يوسف بن خدة في كتاب:الطاهر آيت حمو:رجال صنعوا التاريخ-سلسلة من اللقاءات مع مناضلي الحركة الوطنية ومجاهدي ثورة التحرير الكبرى-لقاء مع بن يوسف بن خدة،دار الخلدونية،الجزائر،2011، ص ص137-138.

[2] عبد الله مقلاتي:المرجع السابق،ص 265.